الأستاذ : د. محمد بك

قسم التاريخ

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة باجي مختار – عنابة –

المستوى : أولى ماستر

المقياس : العلاقات الجزائرية الأوروبية 1

ملاحظة : تناول الأستاذ في أربع محاضرات سابقة مع الطلبة علاقات الجزائر (1505م – 1830م) مع اسبانيا ، وأرسل إلى موقع الجامعة أربع محاضرات تشمل علاقات الجزائر مع فرنسا، وهذه المحاضرات تعالج علاقات الجزائر مع بريطانيا في الفترة الحديثة .

المحاضرة الخامسة

حملات الانجليز على الجزائر

قامت انكلترا بعدد من الهجمات البحرية على الجزائر ، بدأت منذ عام 1620م بلغ مجموعها 11 هجمة ، باءت جميعها بالفشل عدا حملة عام 1816م بسبب استعمال الخدعة في الدخول إلى ميناء الجزائر، وكانت خسائر الأسطول الانكليزي حتى ذلك العام باهظة ، ولم تحقق نجاحات كبيرة أو تمنع دفع الإتاوات لحكام الجزائر مقابل إعطائهم الأمان لدخول البحر المتوسط .

منذ بداية القرن 17م دخلت الجزائر عهد جديد للغزو البحري بحيث تمكن الجزائريون من أسر 466 إنجليزيا وبالتالي لم تبق أية حصانة للسفن الانجليزية في البحر الأبيض المتوسط ، وصار حينها الأسطول الجزائري يشكل تهديدا كبيرا لسفن دول شمال أوروبا .

الانكليز يحاربون الجزائر:

كان الأسطول الجزائر المحارب يتكون من مائة سفينة ، وكان عدد رجال البحر يفوق 30ألف مقاتل، أطلق ملك الانكليز جيمس الأول حرية العمل لقراصنته في البحر المتوسط خاصة بعد أن حققوا أرباحا كبيرة من خلال هجماتهم على سفن تجارية على السفن التجارية الاسبانية والبرتغالية ، و في سنة 1620م أراد إرغام دولة الجزائر على ترك الحرب البحرية ضد السفن الانكليزية ، دون أن يعقد معاهدة مع الجزائر يسود بواسطتها السلام . وجاء الأسطول الانكليزي الى الجزائر ، تحت قيادة الأميرال مانسل وكان يتكون من 18 سفينة حربية وتجارية مزودة بعدد كبير من المدافع ، وتحمل 1500 مقاتل ، وطالب الجزائريين بتسليمه ما لديهم من أسرى الانكليز ، فرفضوا الإذعان لذلك الإنذار، وبعد أيام لحق به أسطول اسباني يتشكل من ست سفن وأخذ الأسطول يرمي القنابل على المرسى ، وحاول أخذ سفن من أسطول الجزائر ، فلم يقدر على ذلك ، وأنزل رجاله حوالي المدينة

قصد إرهاب الجزائريين ، فما استطاعوا أن ينالوا منهم منالا ، وفي ديسمبر غادر الانجليز ميناء الجزائر، وقد فشل التحالف الثلاثي الانجليزي ، الاسباني ، الهولندي في تشكيل قوة مشتركة لضرب الأسطول الجزائري وبذلك فشلت الحملة في تحقيق هدفها.

الحملة الانجليزية سنة 1662م : رفض الانجليز التوقيع على معاهدة 1660م ، وللضغط على الجزائريين وحملهم على التراجع ، قررت انجلترا ارسال قوة بحرية بقيادة الأميرال ادوارد مونتاغو ، كونت دي ساندويتش ، وفي جويلة 1661م قصف مدينة الجزائر ، وقد واصل السير لاوسون الحرب ضد الجزائريين، وفي أفريل 1662م هاجم الانجليز مدينة بجاية واستولوا على أربعة سفن ، وتوجهوا بعدها لمحاصرة ميناء الجزائر.

الحرب مع الانجليز 1669م:

لقد ازدادت الهجمات الانجليزية على الجزائر في عام 1668م فأمر علي آغا بمطاردة السفن الانجليزية ، وفي أكتوبر قدم الأميرال توماس آلن إلى الجزائر للمفاوضة بمساعدة القنصل جون وارد الذي خلف نيكولاس باركر لكنها لم تحقق نتيجة تذكر.

يبدو أن الانكليز أرادوا استغلال الانتفاضات داخل الجزائر ، فحاولوا الهجوم على الجزائر في خريف 1669م ، حيث عاد آلن ثانية على رأس 25 بارجة وبعد مباحثات غير مجدية فتح الانجليز النار على برج المول ، لكن المدفعية الجزائرية نجحت في ردهم على أعقابهم . لكن ذلك لم يمنع الانكليز من مواصلة الحرب في البحر ضد المراكب الجزائرية ، وكثرت الهجمات وألحقت بها خسائر متعددة الى درجة أن سكان مدينة الجزائر أصبحوا يخشون من هجوم أجنبي ، وامتزجت هذه المخاوف بشعور الثورة على الأتراك ، مما اضطر علي آغا الى توزيع الأموال على السكان وتعزيز الحصون . وفي ماي 1671م عاد الانكليز إلى مهاجمة ميناء بجاية وأضرموا النار في ثمانية مراكب راسية واستولوا على ثلاثة أخرى ، وكان رد الفعل في مدينة الجزائر اغتيال الترجمان الانجليزي ونهب مقر القنصلية وسجن القنصل وكبار التجار. وفي شهر جويلية من نفس السنة هاجموا ميناء الجزائر وأضرموا النار في ثلاث مراكب وأغرقوا مركبا آخر، كما أحدثوا تخريبا في رصيف الميناء . هذه الخسائر التي لحقت بالأسطول الجزائري بسبب هجمات الانكليز وغيرهم أثار سخط طائفة الرياس التي أشعلت فتيل اضطرابات معقدة في الجزائر راح ضحيتها علي آغا وأدت إلى إنهاء نظام الآغاوات .

معركة بحرية في 1711م :

بدأت بريطانيا برفع علمها على أكثر السفن الايطالية والاسبانية ، بل أحيانا يرفع على سفن ليس فيها فرد بريطاني واحد ، وقد حدثت أزمة حادة عام 1711م حين أطلق بحار بريطاني النار على سفينة جزائرية ، وكانت المعركة بين الطرفين غير متكافئة إذ كانت السفينة البريطانية تحمل 44 مدفعا ، في حين كانت السفينة الجزائرية مزودة ب 12 مدفعا فقط ، لذلك خسر الجزائريون نصف الطاقم بين

قتيل وجريح ، وتداركت بريطانيا ذلك بإرسال برقية إلى الداي علي باشا شاوش (1710- 1718م) مفادها ، معاقبة الضابط المسؤول عن الحادث مع عدد من الهدايا ، لتدارك قيام حرب بين الجانبين .

غارة نبورغ على مدينة الجزائر 1678م:

قدم أسطول انجليزي إلى مدينة الجزائر بقيادة الأميرال نبورغ سنة 1678م ، حيث قام باستعراض حربي بغية إخافة الداي وحاشيته ، الا أن المدفعية الموجودة في الحصون الجديدة ردت عليه بالقذائف فابتعد عن المدينة دون تحقيق أي هدف يذكر .

الحملة الانجليزية – الهولندية على الجزائر 1816م :

بادرت هولندا بإرسال أسطولها الحربي إلى الجزائر في شهر جويلية 1815م ، قصد تجديد معاهداتها مع الجزائر ، ولكن الداي عمر باشا رفض التفاوض مع الهولنديين قبل أن تدفع بلادهم الإتاوات المتأخرة وفي تلك الظروف طهر الأسطول الانجليزي في ميناء الجزائر عدة مرات .

لقد اضطر الداي عمر أمام هذه التحركات التي تنذر بالخطر الى بعث رسالة الى السلطان محمود الثاني في 15 ماي 1815م أخبر فيها بتحركات الأساطيل الأوروبية في البحر المتوسط ، ونوايا الدول الأوروبية السيئة تجاه الجزائر ، وضرورة تعضيد السلطان للجزائر بالجند والسلاح ، ولم يدخر الباب العالي جهدا في تنبيه الايالات المغربية للأخطار التي تحيط بها ، فأرسل مبعوثه ينصح فيها ولاتها بالالتزام باليقظة لمواجهة أي هجوم عسكري تقوم به احد الدول الأوروبية وقد ذكر عمر باشا في الرسالة التي بعث بها الى السلطان في 01 جوان 1816م " أننا سوف نستعمل كل طاقاتنا واهتمامنا للدفاع عن هذا الشعب المسلم الذي هو تحت كفالتنا ، واننا مستعدون للتضحية بأنفسنا دفاعا على ذلك ".

وفي أواخر أوت 1816م اجتمع وزير الخارجية البريطاني اللورد كسلريه مع سفراء كل من روسيا وبروسيا والنمسا وفرنسا في لندن ، وبحث معهم مشروع تكوين حلف عسكري مشترك لمدة سبع سنوات الهدف منه مقاومة الايالات المغربية ولم يكن هدف انكلترا من وراء عقدها لمؤتمر لندن سوى كسب تأييد أوروبي لحملتها العسكرية التي كانت تعد لها وقررت إرسالها إلى الجزائر بالاشتراك مع هولندة .

ومن التبريرات التي وجدتها انكلترا لحمايتها ضد الجزائر، أن الجزائريين قد استولوا على سفينة في سواحل عنابة تحمل العلم الانجليزي ، ومن جهة أخرى أسروا رعايا سردينيا ونابولي . وفي شهر ابريل عام 1816م وصل الأسطول الانجليزي إلى ميناء الجزائر ، قصد افتداء أسرى مملكتي سردينيا ونابولي .

وقد جاء في تقرير الحاج عبد الله مبعوث الداي عمر الباب العالي :" أنه عندما اقترب اللورد اكسموث من ميناء الجزائر أرسل مبعوثا الى الباشا ليخبره بأنه يريد افتداء أسرى سردينيا الموجودين في الجزائر، لأن هؤلاء الأسرى يعتبرون من رعايا انكلترا .. وإذا وافق حاكم الجزائر على ذلك فإنه مستعد أن يدفع مقابل كل رأس من هؤلاء الأسرى البالغ عددهم 50 أسيرا ألف ريال . وقد وافق الباشا

على اقتراح الذي عرضه عليه أكسموث ." الا أن القائد الانجليزي طلب أيضا من الباشا أن يطلق سراح الأسرى التابوليتانيين البالغ عددهم 1200 أسيرا .. وقد عرض القائد الانجليزي على الباشا ألف ريال مقابل كل رأس ، الا أن الباشا لم يستجب لهذا الطلب .. النابوليتان دولة مستقلة ولها ملكها .. ولذا فإننا مستعدون أن نسلم لكم هؤلاء الأسرى ولكن بعد أن تدفعوا ثمن فديتهم المتفق عليه".

وبعد هذا التقرير اتجه الأسطول الانجليزي نحو تونس وطرابلس ، حيث أبرم مع حكامها معاهدة سلم ، وحرر أسرى سردينيا ونابولي منهما دون أن يدفع لهما فدية.

وفي شهر ماي عام 1816م عاد الأسطول الانجليزي إلى ميناء الجزائر ، ولما علم اللورد اكسموث باستعداد الجزائر لمحاربته رفع العلم الأبيض ، وقبل تسوية مشكلة الأسرى في إطار الأوامر السلطانية ، كما طلب من الداي أن تتولى السفينة الانجليزية مهمة حمل هدية الجزائر إلى الدولة العثمانية . ومن جهة أخرى اعترف الداي بمملكة هانوفر الجديدة ، وسمح لها بالتمتع بالامتيازات التي نصت عليها المعاهدة الجزائرية الانجليزية ، باعتبار تلك المملكة تابعة للإمبراطورية وبسبب نتائج هذه الحملة جعل كل من مملكتي نابولي وسردينيا تدين الحملة البريطانية وتتهم بريطانيا بالتقاعس تجاه واجباتها المسيحية .

قررت انجلترا تجهيز حملة ثانية ضد الجزائر ، حيث غادر أسطولها ميناء بليموث بقيادة اللورد اكسموث يوم 28 جويلية 1816م وانظم اليه الأسطول الهولندي بقيادة الأميرال فون كابلان ، إن ايالة الجزائر كانت تعلم منذ سنة أن الأسطول المسيحي يتجول في عرض البحر المتوسط ، وأن الدول الأوروبية تضمر الشر ضدهم . وقد جاء في احدى الوثائق العثمانية وهي عبارة عن رسائل بعث بها عمر باشا إلى السلطان العثماني بتاريخ 01 جوان 1816م : " لقد علم أوجاقنا من مالطة أن الدول المسيحية قد تحالفت على إنشاء أسطول مشترك بينها وقوة مدفعية لمحاربتنا ، ومن الواضح أنهم يضمرون لنا النوايا المسيئة تجاهنا ..." .

وقد شرح اللورد اكسموث خلال هذه الحملة بأن مؤتمر فيينا قد قرر إلقاء الرق والقرصنة ، وطلب أن يقبل الجزائريون هذا القرار وأن يحرروا أرقاءهم المسيحيين ، وقد كان الداي والديوان كلاهما غاضبين من هذا الموقف . كيف يمكن للدول الأوروبية أن نفسها حق التدخل في نظام قائم منذ أمد طويل على عادات وقوانين بلادهم . ومما تجدر الإشارة إليه أن اللورد اكسموث وفون كابلان أميرا البحر كانا على علم بالتحصينات ونقاط دفاعات مدينة الجزائر بفضل النقيب وارد والضابط زيغل اللذين مكنا رئيسهما من معلومات هامة حول الإستراتجية الدفاعية لمدينة الجزائر .

وكانت الذخيرة الحربية الانجليزية والهولندية قد بلغت 450 مدفعا من عيارات مختلفة ، أما تحصينات مدينة الجزائر فتتوزع على الشكل التالي : المنطقة الشمالية 44 قطعة مدفعية ، وفي برج الفنار 48 مدفعا ، وفي البرج الشرقي 60 مدفعا ، وفي برج السردين 15 مدفعا ، وكان الداي عمر أرسل تقريرا مفصلا عن حالة الحصار بصفة عامة ، حملها رئيس الميناء القبطان علي الى الباب

العالي جاء فيها :" رغم أننا أبرمنا اتفاقا مع الانجليز والهولنديين والذي نص على انتظار مدة ستة أشهر لإعادة النظر في مسألة الأسرى فإنهم قدموا الى الجزائر بأسطول ضخم يتكون من 30 قطعة ، وكان ذلك يوم 15 أوت 1816م ، وبعد أن رفع الأسطول العلم الأبيض رمز الصلح والسلام ، أرسلوا لنا زورقا ليسلم لنا رسالة تتضمن شروطهم والتي قضت بأن نسلم لهم جميع الأسرى الموجودين في الجزائر ، ونرد على رسالتهم خلال ساعة واحدة فقط لما شرعنا في إعداد الجواب ، تقدمت بعض قطع الأسطول من التحصينات ، وبدأت تقصف مواقعها بالقذائف ... واستمرت الحرب بكل ضراوتها من الساعة الثامنة صباحا إلى منتصف الليل .

ويكمن سر خسارة الجزائريين إلى عامل تضييع الوقت بخصوص الدفاع عن المدينة ، لأن الجيش كان ينتظر أوامر الداي ، فلو تمكن المدافعون من إشعال النار وقصف الأسطول الانجليزي والهولندي لكان النصر حليفهم . ويرى القنصل الفرنسي دوفال (1814م-1827م) أن سر نجاح الحملة على الجزائر يرجع إلى أن الأيام التي قضاها الأميرال البريطاني في الجزائر ففي خلال سنة واحدة زارها ثلاث مرات من أجل المفاوضات ، تمكن من خلالها من معرفة مواقع القوة والضعف في تحصينات مدينة الجزائر ، وسرعة الداي عمر من أجل التفاوض فلو أخر ذلك لما تمكن الانجليز من إحراز النصر ، لأنه في اليوم الثاني نفذت الذخيرة الحربية ، وكان حجم الخسائر كبيرا لدى الأسطول المشترك . وهو ما ذهب إليه شالر عندما ذكر باعتراف الجزائريين بعجزهم عن المزيد من المقاومة . ثم قبلوا الشروط المهينة التي فرضها المنتصرون ، أما المؤرخ الأمريكي وولف فيقول :" عندما سكتت المدفعية سارع الداي عمر بعقد السلام بالشروط الانجليزية الهولندية عمليا ما عندها من بارود وقذائف ، وكانت غير قادرة على القيام بهجوم آخر" لقد كانت شروط المعاهدة التي فرضها المنتصرون على الجزائر قاسية ، إذ نصت على الغاء نظام الرق وتحرير الأرقاء المسيحيين الموجودين في الجزائر بمختلف جنسياتهم ، ودفع تعويض حربي مقداره 500000 فرنك ، واعتذار الداي علانية عما جرى للقنصل الانجليزي . ومن مجموع 3000 أسير كان موجودا بالجزائر تم تحرير نصف هذا العدد وهم توزعون على النحو التالي: نابولي صقلية 1110 ، سردينيا جنوة 62 ، بيدمونت 6 ، روماني 174 ، توسكانيا 6 ، اسبانيا 226 ، البرتغال 7 ، اليونان 7 ، هولندة 28 ، انجلترا 18 ، فرنسا 2 ، النمسا 2 المجموع 1642 أسيرا .

والملاحظ أن هولندة عقدت هي أيضا معاهدة مع الجزائر أورد الزهار:" وكذلك عقد الصلح مع الهولنديين ولم يدفعوا شيئا مما كانوا يطلبونه منهم وهو غرامة سبع سنين ، وكانوا يعتزمون يدفعوا غرامة ثلاث سنين ثمنا للصلح ، تدفع في أجل معلوم .

لقد اختلفت الكتابات في تقدير حجم الخسائر المادية والبشرية لكلا الطرفين خلال هذه المواجهة العنيفة فبخصوص عدد الجرحى والقتلى إن الوثائق الجزائرية تشير الى 300 قتيل في صفوف الجزائريين ألاف انجليزي وهولندي ، بينما يذكر شالر أن حوالي 600 قتيل وجريح جزائري و128 قتيل انجليزي 690

جريحا انجليزيا ، و13 قتيلا و25 جريحا هولنديا . أما شاو فقد قدر القتلى والجرحى في صفوف الجزائريين ب600 ، و173 قتيلا 744 جريحا هولنديا وانجليزيا. أما تقرير القبطان الأمريكي سومر الذي تحدث عن مقتل 3000 جزائري من جراء القصف ، وتعرض نصف المدينة للحرق وتم احراق الأسطول الجزائري .

كان حجم الخسائر كبيرا إذ تحطمت معظم السفن الانجليزية من جراء المدفعية الجزائرية ، ويشير دوفال بأن هناك حوالي 3000 قتيل في الجانب الجزائري ، كما تضرر الميناء والتحصينات ومخازن الأسلحة والبارود من القصف المدفعي ، كما تحطمت معظم بنيات مدينة الجزائر .

وقد حمل الجيش الجزائري الداي عمر مسؤولية أضرار المصائب التي تعرضت لها الجزائر لذا تم اغتياله من طرف عناصر الانكشارية عام 1817م .

ومن البديهي أن تكون للحملة نتائج خطيرة على نشاط البحرية الجزائرية منذ مطلع القرن 19م ، فبتحرير الأسرى المسيحيين دون فدية ضيع على الجزائر فرصة انتعاش الخزينة بحوالي مليونين من الريالات الفرنسية ، والملاحظ أن الحملة الانجليزية الهولندية لعام 1816م قد أسهمت في إنهاء الحكم العثماني في الجزائر.

الحملة الانجليزية على الجزائر 1824م :

أعاد الانجليز الكرة مرة ثانية في يوم 24 جويلية وشنوا حملة عسكرية ضخمة ضد مدينة الجزائر وفي هذه المرة وجدوا مقاومة كبيرة من طرف الجزائريين الذين لم يستسلموا ، حتى قاموا برد الهجوم وكان الأهالي قد غادروا المدينة نحو المرتفعات المجاورة لها ولم يبق في المدينة سوى الجنود الذين صمدوا ووقفوا في وجه المدافع الانجليزية بكل بسالة وشجاعة وأرغموا الانجليز في الأخير على الانسحاب من ميدان المعركة ، والقيام بإبرام معاهدة صلح مع الداي الذي قبل بعدد من الشروط الانجليز مقابل استبدال قنصلهم ماك دونال.

لقد واجهت الجزائر الحملات الانجليزية بكل بسالة دون أن تلقى أي مساعدة عسكرية أو سياسية من طرف الدولة العثمانية ، التي لم يكن في وسعها تقديم أي شيء سوى التعبير عن رفضها لهذه الاعتداءات المتكررة على ولاياتها خاصة الجزائر المستهدف الرئيسي ، على عكس السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر التي استطاعت أن تحتوي جميع تلك الاعتداءات والحملات سواء بالقوة أو المعاهدات والاتفاقيات حتى لو شهدت العديد من التنازلات وتقديم الامتيازات لبعض الدول الأوروبية مثل فرنسا وانكلترا تجنبا لشرها .

.....

المحاضرة السادسة

المعاهدات بين الجزائر وبريطانيا

جاء في مختلف الدراسات أن الانجليز لم يهتموا كثيرا بفداء الأسرى ، وقد برروا ذلك بحجة أن إنقاذهم لهم سيقنع البحارة الجزائريين بأن الأسرى الانجليز مغامرة تجارية مربحة ، ولقد أجمع أغلب الباحثون بأن العلاقات الجزائرية الانجليزية خلال العهد العثماني كانت قائمة على أساس التعاون ويسودها الوئام طوال قرون ، هذا رغم الغارات البحرية التي كانت تقودها أحيانا انجلترا ضد الجزائر.

وتحدث مولود قاسم نايت بالقاسم عن تطور العلاقات الجزائرية والانجليزية في العهد العثماني وقدم قائمة المعاهدات التي عقدت بين البلدين ، حيث أثبتها بتواريخها والأطراف التي أمضتها إلا إنه لم يتعرض لمحتوى بنود تلك المعاهدات بالتفصيل . أما المعاهدة التي تحدث عنها أحمد الشريف الزهار في مذكراته ولم يشر إلى تاريخ انعقادها بحيث اكتفى بقوله :" بعد الكارثة البحرية الجزائرية توجت بإطلاق سراح 1200 أسير منهم أسرى إمارتي نابولي وسردينيا الذين أطلقوا مقابل دفع 2500 فرنك فدية لكل أسير من نابولي و1500 فرنك لكل أسير من سردينيا".

إلى جانب العلاقات التجارية بين البلدين ربطتهما علاقات دبلوماسية ، أخبرنا عنها القنصل الانجليزي بالجزائر بروس الذي عمل قنصلا في الجزائر خلال الفترة 1763م – 1765م وهو من بين الرحالة الذين كتبوا عن شمال أفريقيا ولد في 14 ديسمبر 1730م في كنير من عائلة ملكية ، خاصة مسألة تزوير جوازات السفر فقد كانوا كثيرا ما يتهمون بهذه المسألة إذ يقول بروس أن الجزائريين يعتبرون كل العمارات التي تمر في البحر ، وحتى عبر مضيق جبل طارق متعاملة مع الدول العدو خاصة اسبانيا ، فنظرا لما لها من تجربة كبيرة في هذا المجال مع فرنسا ، أصبحت تحرص على تفتيش كل السفن التي تمر بمينائها.

ولقد كان للقنصل مهمته في الحرص على عدم حدوث مثل هذه التصرفات ، ففي أحد المرات حدث وأن اتهمت بريطانيا بتزوير جوازات السفر فأدانها الداي علي باشا خاصة وأنه لم يحصل على تفسير رسمي من الحكومة البريطانية لهذا رفض رفضا تاما الاستماع إلى للقنصل .

تجدر الإشارة إلى أنه ممن تولى القنصلية البريطانية اللورد أسبنوال من 1754م إلى 1761م ، ومن بعد اللورد سيمون كرويس الذي تولى المنصب بصورة مؤقتة في انتظار مجيء القنصل الجديد ، وحل محلة فورد الذي كان أحد التجار القدماء في الجزائر وبعد وفاته تولى المنصب اللورد حليفاكس ومن بعده بروس . إن ما جعله يزداد تشوقا للمجيء للجزائر ، هو التقاءه في نابولي ببعض الأسرى الذين تم شرائهم من قسنطينة فحدثوه عن جمال الآثار الرومانية التي شاهدوها هناك ، فاتجه مباشرة إلى ليفورن في أحد السفن الحربية وقصد الجزائر في سنة 1763م ولقد وصف بروس الترحيب الذي ناله حينما وصل إلى الجزائر.

وتمثلت أهم المعاهدات المبرمة بين البلدين فيما يلي:

معاهدة السلام 1622م:

تبنت العلاقات الجزائرية الانجليزية الحل التفاوضي وكانت هذه الأخيرة سباقة إلى ذلك بحيث عقدت معاهدة سلام مع الجزائر في سنة 1622م ، وتم تعيين القنصل الانجليزي في الجزائر، وتشجع التجار الانجليز على بيع بضائعهم في الجزائر، وتعتبر هذه المعاهدة القاعدة التي ترتكز عليها جميع اتفاقيات البلدين ، لكن هذه المعاهدة لم تكلل بنجاح لتثبيت السلام بين الطرفين فقد كان الانجليز سباقين إلى نقذها كما يقول المؤرخ الأمريكي وولف :" وكما حدث مع الفرنسيين ، فإن أول المخلين ببنود المعاهدة هم الانجليز وليس الجزائريين .." بعدما نقض الانجليز المعاهدة كان ذلك في صالح الجزائريين وخاصة طائفة الرياس لأنه ذلك يعني لهم استئناف الغزو وعملية القرصنة وإعلان الحرب مع الانجليز.

معاهدة 1646م:

قام بها القنصل الانجليزي إدمون كاسن وجاءت هذه المعاهدة نتيجة لتزايد عدد الأسرى الانجليز مما دفع أهلهم للضغط على الحكومة الانجليزية من أجل افتدائهم ، حيث حضي القنصل باستقبال الباشا والديوان ، وتم توقيع معاهدة جديدة نصت على عدم الإساءة للمراكب الانجليزية في الجزائر ، بالإضافة إلى ذلك بنود أخرى تتعلق بحقوق الجالية الانجليزية في الجزائر. على الرغم من السلام الذي أكدته معاهدة 1646م إلا أن التوجه الجديد لحكومة الجمهورية كان يقضي باستعمال الصرامة في التعامل مع الايالات المغربية بشكل عام وقد ظهر ذلك جليا في التعليمات التي زود بها القنصل الانجليزي الجديد روبير براوني ، وهي تعليمات تميزت بالوضوح والجفاء وعدم التساهم مع أي عمل يخل بالمعاهدة وتدعيما لمهمة قنصلها أرسلت حكومة الجمهورية أسطولها بقيادة الأميرال بلاك الى البحر المتوسط ليكون على أهبة الاستعداد لأي أمر طارئ.

معاهدة سنة 1660م:

إن تمويه أعلام السفن لصالح دول أجنبية الذي مارسته إدارة كروميل على نطاق واسع ، أثار سخط الرياس ودفع الديوان الى توجيه رسالة شديدة اللهجة الى حاكم انجلترا ، ولقد اشتكى القنصل براوني من تهديدات الجزائريين له ومأبدوه من تصرف فظ تجاه رعاياه. وفي نهاية 1659م تفاديا لحدوث قطيعة بين البلدين جاء الى الجزائر اللورد وينشلسي لعقد معاهدة سلام لكن المحادثات لم تسفر على نتيجة تذكر ، فقد طالب خليل آغا بأن تفتح الموانئ الانجليزية للسفن الجزائرية ، وأن يسمح للرياس بتفتيش حمولات السفن التجارية الانجليزية ، كما كانت الجزائر تطلب ضمان حياد انكلترا في صراعها مع اسبانيا . وفي خريف 1660 استدعى رمضان آغا القنصل براوني وأخبره أنه سيسمح للرياس بتفتيش جميع السفن التجارية بما فيها الانجليزية وقد جلبت بعض السفن الى ميناء الجزائر، بعد ذلك أذعن القنصل الانجليزي لمطالب الجزائريين في المعاهدة التي أبرمها في ديسمبر 1660م ، الا إن هذه المعاهدة رفضت لندن المصادقة عليها كونها أقرت بحق التفتيش ومصادرة الأملاك

المشحونة العائدة للأعداء ، وذلك على رغم تعهد الجزائريين بدفع ضعف أجرة السلع المصادرة كتعويض للقباطنة الانجليز.

معاهدة السلام سنة 1662م:

عاد الرياس إلى مهاجمة السفن التجارية الانجليزية ، وأرسل الملك شارل الثاني سنة 1661م كونت دي ساندويتش في مهمة تتعلق بتسوية مشاكل القرصنة مع الجزائر، الا أنه لم يصل إلى هذه التسوية المرغوبة ، وأرسلت انجلترا بحملة قوامها 23 سفينة قصفت مدينة الجزائر ورد الأتراك بالمثل ، وفي آخر النهار قفلت السفن راجعة دون أن تحقق أهدافها ، وبفشل الحملة التي قامت بها انجلترا لتأديب الجزائر على عمليات القرصنة التي تقوم بها ضد دول أوروبا ، وفي هذه الفترة كان الأسطول الجزائري في أوج قوته ، فلجأت انكلترا كالعادة إلى أسلوب التفاوض ، وعقدت الجزائر مع الأميرال السير جون لاوسون معاهدة سلم في 23 افريل 1662م وقد أرضت انجلترا حيث ضمنت هذه المعاهدة حرية التجارة وتوقف أعمال القرصنة وفداء الأسرى الانجليز، ونصت أيضا على استخدام سفن الطرفين لجوازات مختومة لكي يتم عند التفتيش التأكد من هويتها ، وفي 10 نوفمبر عقد شعبان آغا مع القنصل روبرت براوني معاهدة سلم وفق البنود المتفق عليها سابقا، ورغم ذلك فقد عاد التوتر بين علاقات البلدين في نهاية 1663م بسبب عدم التزام الانجليز بشروط المعاهدة السابقة.

معاهدة 1682م :

لم تتمخض المعاهدات المتوالية مع الجزائر عن مكاسب كبيرة للانكليز، لذلك جرى توقيع أول معاهدة انكليزية مع الجزائر في 10 ابريل 1682م بفضل جهود قنصلها صموئيل مارتن (1674م-1682م) تضمنت تحديد عدد المسافرين الأجانب على متن السفن الانجليزية ، وكذلك عدم التسبب في إثارة الهجمات ضد البحارة الجزائريين مقابل عدم الإساءة للسفن الانكليزية أو مطالبتها بالخضوع لطريقة الحصول على الإذن والتفتيش من البحارة الجزائريين.

تخلت انجلترا بحكم المعاهدة لصالح الجزائر عن 350 وحدة بحرية تجارية ، مع رد الأسرى الجزائريين الموجودين لدى انجلترا من دون مقابل ، وعدم المطالبة بالأسرى الانجليز الموجودين ، إذ لم يهتم الملوك الانجليز كثيرا بفداء رعاياهم ، وقد سوغوا ذلك بحجة أن إنقاذهم سيقنع البحارة الجزائريين بأن أسر الانجليز مغامرة تجارية رابحة ، وقد وصفت المعاهدة بالسلم المهين.

ثم توترت العلاقة بين البلدين بعد أن قام الداي محمد عثمان بطرد القنصل الانجليزي فريزر عام 1767م في قاعة الاستقبال أمام جميع الدبلوماسيين قائلا له :"سأكسر سيفك على رأسك بيدي إذا ما عدت الى تقلده على جنبك " ، وذلك بسبب تعالي القنصل واستكباره وحمله السلاح في حضرة الداي. وتحسنت العلاقات بعد ذلك وذلك بعد الفتور الذي أصابها بسبب إهانة قنصلها ، وكذلك رفض معاهدة السلام مع الو م أ أرضاء لبريطانيا . ثم عاد التوتر الى العلاقات بين البلدين بين عامي 1803م و1804م بسبب طرد القنصل البريطاني فالكون من الجزائر التي طلبت استبداله بعد اتهامه بجنحة

أخلاقية إلا أن بريطانيا رفضت ذلك وهددت بارسال أسطولها لقصف العاصمة الجزائر وقد استعدت هذه الأخيرة للمواجهة ، فتراجع الانجليز وعينوا قنصلا آخر.

معاهدة 1816م : نصت على إلغاء نظام الرق وتحرير الأرقاء المسيحيين الموجودين في الجزائر بمختلف جنسياتهم ، ودفع تعويض حربي مقداره 500000 فرنك ، واعتذار الداي علانية عما جرى للقنصل الانجليزي .

.....

المحاضرة السابعة

الامتيازات الانجليزية في الجزائر

أقامت الجزائر علاقات ودية مع بريطانيا قبل مجيء الأتراك في أوائل القرن 16م ، إذ أن أهمية الجزائر التجارية قد جعلت فرنسا وبريطانيا في تنافس دائم حول إقامة علاقات دائمة مع الجزائر، وقد استفادت هذه الأخيرة من تعاملها مع الطرفين. ولقد جمعت الجزائر وبريطانيا علاقات تجارية كبيرة ، كما عقدتا عدة معاهدات سلم وتجارة ، وفي سنة 1807م رسخت انجلترا مركزها في الجزائر وسمح لها أن تحل محل الفرنسيين ، وحصلت على مركز القالة الفرنسي واستغلته لمدة عشر سنوات .

العلاقات بين الجزائر وانجلترا قبل منح امتيازات 1807م :

كانت علاقة الجزائر بانجلترا مجرد علاقة تبادل مصالح ونفوذ ، خاصة وأنها كانت تسعى دائما إلى تعكير العلاقات الجزائرية الفرنسية وإفسادها عن طريق قناصلها المتواجدين في الجزائر ، وذلك بسبب منافستها لفرنسا حول الحصول على الامتيازات داخل التراب الجزائري خاصة خلال القرن 18م.

لقد كانت بريطانيا تسعى دائما للسيطرة على الممتلكات الفرنسية في أفريقيا لذلك فرضت عليها حصارا بمساعدة بعض الدول الأوروبية وهو ما اصطلح عليه بالحصار القاري الثالث (1792م-1793) وامتنعت على إثره بعض الدول الأوروبية التعامل مع فرنسا ، الا أن هذا الحصار فشل بعد أن تمكنت الولايات المتحدة من تزويد فرنسا من الحاجيات الاقتصادية ، وهذا الشيء جعل بريطانيا تغير إستراتجيتها في مواجهة فرنسا وذلك بالاستعانة بالجزائر حيث أنها قامت بحل الصراع القائم بين الجزائر والبرتغال وفعلا نجحت في تحقيق مسعاها بأن عقدت هدنة بين الطرفين المتصارعين سنة 1793م لمدة سنة ، بحيث أجبر الأسطول الجزائري بعد ذلك إلى التوجه للموانئ الفرنسية حيث اصطدم بالسفن الأمريكية في معارك طاحنة المفروض عليها من قبل ، ولكن سرعان ما عادت الحرب بين الجزائر والبرتغال في أفريل 1794م بعد انقضاء الهدنة المبرمة بينهما ، وأعلن البلاط البرتغالي استعداده إلى غلق مضيق جبل طارق في وجه السفن الجزائرية ومنعه من التغلغل في المحيط الأطلسي ، وقد ساعدت هذه الإجراءات في عودة السفن الأمريكية إلى تمويل فرنسا مرة أخرى بعد زوال الخطر الجزائري .

انجلترا تحصل على الامتيازات في 1807م :

في أواخر شهر ديسمبر 1806م استدعى الداي أحمد باشا القنصل الفرنسي ليبلغه بأن الانجليز يعرضون مبلغ أربعون ألف قرش اسباني للحصول على الموافقة لاستغلال الامتيازات الإفريقية ، وأن المبلغ الذي يطلبه ستون ألف قرش اسباني ، وأنه سيفضل الفرنسيين إذا عرضوا مبلغا يزيد عن الذي يقترحه الانجليز ، لكن أوضاع فرنسا المالية جعلتها تمتنع عن القبول .

وبعد أيام قليلة من إبلاغ تانفيل بالعرض الانجليزي ، قررت السلطات الجزائرية سحب الامتيازات الإفريقية من أيدي الفرنسيين ومنحها للانجليز في 02 جانفي 1807م ، لقد قبل هؤلاء دفع مبلغ خمسين ألف قرش اسباني كإتاوة سنوية ، وهو ما يعادل ربع مليون فرنك ، أي بزيادة قرابة مرة وثلث عن المبلغ الذي كان يدفعه الفرنسيون. وفي 05 جانفي 1807م نصب الرعية الاسباني اسكوديرو كوكيل للانجليز على الامتيازات الإفريقية . طلب من تانفيل سحب السلع والمواد المختلفة الموجودة في مستودعات الشركة الفرنسية ، وتسليم مفاتيح مقراتها للسلطات المحلية ، لم يمنع رفض القنصل تسليم مفاتيح المقرات من وضع اليد عليها . واكتفى هذا الأخير بالاحتجاج والتسجيل بأن ممتلكات الشركة الفرنسية الموجودة في هذا المخازن تصل قيمتها إلى مائة ألف قرش اسباني .

وقد حاول القنصل الفرنسي تانفيل استرجاع الامتيازات وبالفعل حصل على عقد محرر ومختوم من الداي أحمد أعاد فيه الامتيازات الإفريقية للفرنسيين ، لكن اغتيال هذا الأخير يوم 7 نوفمبر 1808 م أضاع هذه الفرصة عليهم ، لكن السلطات الجديدة رفضت هذا الأمر، لأن الامتيازات كانت بين أيدي الانجليز وهؤلاء لم يخلوا بأي شرط من شروط العقد.

ومما يجب تسجيله بهذا الصدد هو أن هناك بعض المسؤولين في قمة هرم السلطة لم يكونوا مرتاحين كثيرا للجانب الانجليزي ، لمسنا هذا الشعور لدى بعض هؤلاء منذ السنة الأولى من بدء الانجليز في استغلال الامتيازات ، ونلمسه الآن لدى المسؤولين الجدد الذين خلفوهم في مناصبهم ، فالداي عمر وكذلك الخزناجي الذي عينه ووكيل الحرج يتقاسمون شعور عدم الارتياح للانجليز الذي كان لدى كل من الحاج علي باشا ووزيره الأول وكذا وزيره للخارجية ، وكانوا ينتظرون الفرصة المناسبة لترضية فرنسا .

العلاقات بين الجزائر وانجلترا بعد منح امتيازات 1807م :

استغلت بريطانيا تعكر العلاقات الجزائرية الفرنسية أحسن استغلال حيث وطدوا علاقاتهم مع حكام الجزائر، ومن مظاهر التقارب الجزائري البريطاني تلك الرسالة التي بعث بها ولي عهد انكلترا إلى الداي الحاج علي سنة 1812م مؤكدا له فيها أنه طالما استمرت الصداقة بين البلدين فإن انكلترا سوف تحمي عاصمة الجزائر من أي عدوان خارجي ، غير أنهم لم يستطيعوا الحفاظ على صداقتهم هذه فمجرد أن وضعت الحرب الأوروبية أوزارها عام 1815م التفتت انجلترا إلى الأسطول الجزائري الذي استفاد من تلك الحروب حيث عرف انتعاشا كبيرا ، فحاولت انجلترا القضاء عليه حتى لا يعرقل نشاطها داخل البحر المتوسط ، وعزمت على استغلال قرارات مؤتمر فيينا سنة 1815م في القيام بحملة

عسكرية بحرية على الجزائر ، بحجة محاربة القرصنة وتجارة الرقيق ، وبناء على ذلك انطلقت الحملة الانجليزية بقيادة اللورد اكسموث في 1816م وكانت سببا في سحب الامتيازات.

في 03 سبتمبر 1816م أي بعد أيام قليلة من الغارة الانجليزية ضد العاصمة ، أبلغت السلطات الجزائرية القنصل ماكدونالد بقرارها سحب الالتزام من الانجليز ، وإلغاء التعاقد من شأنه معهم. والحجة التي تذرعت بها الحكومة لتبرير هذا الموقف هي أن هذا الالتزام لم يعد يمثل منفعة بالنسبة للانجليز.

أهم المراجع :

- سفيان صغيري : العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671- 1830)م نسخة الكترونية .
- جمال قنان : العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790-1830 ، منشورات متحف المجاهد ، وزارة المجاهدين طبعة خاصة ، الجزائر ، 1997 .
- حنيفي هلايلي : العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الايالة 1815- 1830 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2007.
- سلوان رشيد رمضان : إشكالية العلاقات البريطانية – الجزائرية 1580 – 1816 ، مجلة تكريت للعلوم الانسانية ، م 22 ، ع1 ، كانون الثاني 2016 . نسخة الكترونية